

تفسير البحر المحيط

@ 61 @ تجمع ، وتدخر الباقي عدة . وفي الحديث : (النهي عن قتل أربع من الدواب : الهدهد والصد والنملة والنحلة) ، خرجه أبو داود عن ابن عباس . وروي من حديث أبي هريرة : وتبسم سليمان عليه السلام ، إما للعب بما دل عليه قولها : { وَهُمُ لَّا يَشْعُرُونَ } ، وهو إدراكها رحمته وشفقته ورحمة عسكره ، وإما للسرور بما آتاه مما لم يؤت أحداً ، وهو إدراكه قول ما همس به ، الذي هو مثل في الصغر ، ولذلك دعا أن يوزعه مما شكر ما أنعم به عليه . وانتصب ضاحكاً على الحال ، أي شارعاً في الضحك ومتجاوزاً حد التبسم إلى الضحك ، ولما كان التبسم يكون للاستهزاء وللغضب ، كما يقولون ، تبسم تبسم الغضبان ، وتبسم تبسم المستهزء ، وكان الضحك إنما يكون للسرور والفرح ، أتى بقوله : { ضَاحِكًا } . وقرأ ابن السميع : ضحكاً ، جعله مصدراً ، لأن تبسم في معنى ضحك ، فانتصاه على المصدر به ، أو على أنه مصدر في موضع الحال ، كقراءة ضاحكاً . . .

{ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي } : أي اجعلني شكر نعمتك وآلفه وأرتبطه ، حتى لا ينفلت عني ، حتى لا أنفك شاكرًا لك . وقال ابن عباس : أوزعني : اجعلني أشكر . وقال ابن زيد : حرصني . وقال أبو عبيدة : أولعني . وقال الزجاج : امنعني عن الكفران . وقيل : ألهمني الشكر ، وأدرج ذكر نعمة الله على والديه في أن يشكرهما ، كما يشكر نعمة الله على نفسه ، لما يجب للوالد على الولد من الدعاء لهما والبر بهما ، ولا سيما إذا كان الولد تقيًا صالحًا ، فإن والديه ينتفعان بدعائه وبدعاء المؤمنين لهما بسببه ، كقولهم : رحم الله من خلفك ، رضي الله عنك وعن والديك . ولما سأل ربه شيئًا خاصًا ، وهو شكر النعمة ، سأل شيئًا عامًا ، وهو أن يعمل عملاً يرضاه الله تعالى ، فاندرج فيه شكر النعمة ، فكأنه سأل إيزاع الشكر مرتين ، ثم دعا أن يلحق بالصالحين . قال ابن زيد : هم الأنبياء والمؤمنون ، وكذا عادة الأنبياء أن يطلبوا جعلهم من الصالحين ، كما قال يوسف عليه السلام : { تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ } . وقال تعالى ، عن إبراهيم عليه السلام : { وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } . قيل : لأن كمال الصلاح أن لا يعصي الله تعالى ولا يهجم بمعصية ، وهذه درجة عالية . . .

{ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَيْ لَأ * أَرَى الْهَيْدُ هَيْدًا أَمْ كَانُ مِنَ الْغَائِثِينَ * لَأَعَذِّبُنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحُنَّهُ أَوْ لَأَيُّ تَيْبَنِّي بِرَسُولَاتِهِ * فَمَا كَثَّ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطَّتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبِيٍّ يَقِينٍ * إِنَّنِي وَجَدْتُ أُمْرَأَةً

تَمَلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شِدَّةٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدَتْهَا
 وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
 أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَّا يَسْجُدُوا
 لِلّٰهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ * فِي السَّمَاوَاتِ * وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا
 تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللّٰهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ
 الْعَظِيمِ * قَالَ سَدَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * اذْهَبْ
 بِكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ * ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا
 يَرْجِعُونَ } . . .

الظاهر أنه تفقد جميع الطير ، وذلك بحسب ما تقتضيه العناية بأمر الملك والاهتمام
 بالرعايا . قيل : وكان يأتيه من كل صنف واحد ، فلم ير الهدد . وقيل : كانت الطير تطله
 من الشمس ، وكان الهدد يستر مكانه الأيمن ، فمسته الشمس ، فنظر إلى مكان الهدد ، فلم
 يره . وعن عبد الله بن سلام : أن سليمان عليه السلام نزل بمفازة لا ماء فيها ، وكان الهدد
 يرى ظاهر الأرض وباطنها ، وكان يخبر سليمان بذلك ، فكانت الجن تخرجه في ساعة تسلخ الأرض
 كما تسلخ الشاة ، فسأل عنه حين حلوا تلك المفازة ، لاحتياجهم إلى الماء . وفي قوله {
 وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ } دلالة على تفقد الإمام أحوال رعيته والمحافظة عليهم . وقال عمر
 رضي الله عنه : لو أن سخلة على شاطيء الفرات أخذها الذئب لسئل عنها عمر ، وفي الكلام
 محذوف ، أي فقد الهدد حين تفقد الطير . . .

قال ابن عطية وقوله : { مَا لِي * لَا أَرَى الْهُدُودَ } ، مقصد الكلام الهدد ،
 غاب ولكنه أخذ اللازم عن مغيبه ، وهو أن لا يراه ، فاستفهم على جهة التوقيف عن اللازم ،
 وهذا ضرب من الإيجاز والاستفهام الذي في قوله : { مَا لِي } ،